برنامج [الأمان الأمان.. يا صاحبَ الزمان] - الحلقة (2)
احياء امر إمام زماننا عليه السلام – الجزء (2)
السبت: 3 شهر رمضان 1439 - الموافق: 2018/5/19

• خُلاصةٌ سريعةٌ لِما تقدّم في الحلقة الماضية:
كان الحديثُ في إحياء أمر إمام زماننا، وأنّه لابُدّ من مُقدّمة نُحاولُ فيها بقدر ما نتمكّن أن نُزيح الموانع والمعوّقات التي تحول فيما بيننا وبين إحياء أمر إمام زماننا بالنحو الذي يُريدهُ هو.. وكان الحديث عن الولائج والصنميّة، ولا أُعيد الكلام.
وَوصلتُ في الحديث إلى خُصوصيّة الوقت والزمن.. وقُلتُ أنّنا لابُدّ أن نُلاحظ الزمان في اللّحظة التي نعيشُها، ولابُدّ أن نُلاحظ الزمان في المقطع الزماني الطويل.
أمّا اللّحظةُ التي نعيشها فهي شهر رمضان، وكان الحديثُ عن صوم الجسد وعن صوم الروح.. وَوقفتُ بعض الشيء عند صيام الجوانح الذي هو شرطٌ في صيام الجوارح.. فمَن صام صامتْ جوارحهُ، ولا تَصومُ الجوارحُ حتّى تصومَ الجوانح.. والجوانحُ هي: العقلُ والقلبُ والضمير والوجدان ووو....
وكان الحديثُ عن مَراتب صوم الرُوح، وَوقفتُ عند هذهِ النقطة: الصيامُ عن الفكر الحرام.. وأخذتُ أهمّ مِصداقٍ من الفِكْر الحرام وهو الفِكْرُ الناصبي.. وعملياً هو الفِكْرُ الناصبيّ الذي اخترقَ عقل الأُمّة الشيعيّة وقلبها بسبب الجهل المُركّب الذي سيطر على علمائنا ومراجعنا، فعبّوا كثيراً مِن الفِكْر الناصبي وقدّموه لنا على أنّهُ مِن فِكْر آل مُحمّد "صلواتُ الله عليهم" وكان الذي كان حتّى وصلتْ الأمور إلى ما وصلتْ إليه في وقتنا الحاضر..! القضيّة ابتدأت مُنذ الأيّام الأولى مِن عصر الغَيبة الكُبرى بعد وفاة السفير الرابع لإمام زماننا "صلواتُ الله عليه".
تقريباً هذا أهمّ ما مرّ في الحلقة الماضية، وبقي الحديثُ عن الجهةِ الثانية مِن الزمان وهي: المقطع الزماني الطويل.. فقد تَحدّثتُ عن اللّحظة التي نحنُ فيها عن شهر رمضان الذي هو شهر فاطمة وشهر إمام زماننا الحجّة بن الحسن "صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين".

● المقطع الزماني الذي نعيشُ فيه:
بحسب تتبّعي لِمُجريات الواقع زماناً ومَكاناً.. حين نَتحدّث عن الزمان لا نستطيعُ أن نتحدّثَ عن الزمان مفصولاً عن المكان، ونحنُ نتحدّث عن المشروع المهدوي الأعظم.. هُناك تلازمٌ بين الزمان والمكان، على الأقل بين المكان المُباشر (المكان الذي يبدأُ فيه المشروع المهدوي الأعظم في أوائل حركته ونهوضه).
هُناك منطقةٌ جُغرافية أصطلحُ عليها "منطقة الظهور".. وكثيراً ما أستعملُ هذا المُصطلح في أحاديثي وبرامجي حين أتحدّثُ عن ظُهور إمام زماننا "صلواتُ الله عليه". وأعني بمنطقة الظهور:
أي المنطقة الجُغرافيّة.. الأرض، البلدان التي تنشأُ فيها النواةُ الأولى وتبدأ الحركة الأولى للمشروع المهدوي الأعظم (العراق، الجزيرة العربيّة: بما فيها السعودية، اليمن بشطريه "عمان والإمارات ودُول الخليج العربي"، إيران، تركيا، وبلاد الشام الكبير "سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن"، ومصر)
هذه الدول هي التي تنشأُ فيها النواة الأولى للدولة المهدويّة والمشروع المهدوي الأعظم..
• حين نتحدّث عن الزمان فإنّنا نتحدّثُ عن الزمان بتفاصيله التي ترتبطُ بالمكان، إذ أنّني لا أتحدّثُ عن الزمان بنحوٍ مُطلق.. وإنّما عن الزمان الذي يرتبطُ بالمكان ويرتبطُ المكان به.. وبالتالي فإنَّ الناسَ سيكونون في هذا الوعاء الزماني والمكاني في آنٍ واحد، وهُنا تَجري المُجريات وتتحقّقُ المُتحقّقاتُ مِن الأحداث.
فإذا أخذنا بنظر الاعتبار كُلَّ هذهِ المُعطيات - وإنْ كنتُ قد أشرتُ إليها بنحوٍ إجمالي- فإنّه بحسب فهمي وتتبُّعي للأحداث التأريخيّة، وبحسب دراستي للواقع الإنساني، للواقع الجغرافي، وللواقع التأريخي، وللواقع السياسي، وللواقع الاجتماعي، وللواقع الحضاري في هذهِ المنطقة.. فإنَّ هذهِ المنطقة زماناً ومكاناً تكون مباشرةً للمشروع المهدوي ويكون المشروع المهدوي مُباشراً لها.

● حينما نَشبتْ الحربُ العالمية الثانية في الأربعينات.. دخل العالم بأجمعهِ في مَرحلةٍ تأريخيّةٍ حاسمة، فكانتْ هناك الكثير مِن المُتغيّرات على جميع المُستويات.. وحينما طُويتْ صفحة الحرب العالمية الثانية حدث تغييرٌ هائلٌ في العالم بسبب الانعكاسات النفسيّة، الاجتماعيّة، السياسيّة.. وتطوّرتْ الكثير والكثير مِن الرُؤى الفلسفيّة لِمُستقبل العالم.
دخل العالمُ في مرحلةَ مخاضٍ شديد تُمازجها استراحةٌ بعد حربٍ عالميّة أكلتْ ما أكلتْ مِن البشر ومِن واقع الحياة.. فمُنذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى سنة 1960 يُمكن أن نقول طُويتْ ذُيولُ الحرب العالمية الثانية، ودخلنا في مرحلة الستّينات والتي تبدأ منذ العام 1961م.. دخلنا في مرحلة ما يُسمّى بالعصر الذهبي بالنسبة للأمريكان والأُوربّيين (ما يُسمّى العصر الرومانسي، عصر العَظَمة).. وهذا أيضاً انعكس على دُول العالم الأخرى.

● في منطقة الظهور (التي أشرتُ إليها قبل قليل) حدثتْ أحداثٌ كبيرةٌ جدّاً.
إذا ما أردنا أن نُؤرّخ لِمنطقة الظهور منذ سنة 1961م فإنّ هذه المنطقة هي الأخرى تأثّرتْ بالمُتغيّرات الجديدة التي ظهرتْ واضحةً في الحياةِ الأمريكيّة وفي الحياة الأوربيّة.
بدأ الترفُ، وبدأت الميوعةُ في الحياة، وظهر النبوغ الأدبيّ والفنّي والفكريُّ واضحاً في العالم الجديد في الولايات المُتحدّة الأمريكيّة ومَن معها، وفي العالم القديم المُتحضّر: في العالم الغربي الأوروبي.
ما يُسمّى بعَصر الأبطال، بعَصر الفنون، بعَصر العُظماء.. بحسب هذه التسميات الشائعة في الثقافة الغربيّة التي أرّختْ ودرستْ الواقع الإنساني بنحوٍ عام أو ما يرتبطُ بواقعهم الأمريكي والأُوروبي.

• منطقة الظهور حدثَ ما حدثَ فيه من التغيّرات والتبدّلات على المُستوى السياسي، والاجتماعي، والثقافي، والتقني.. أساليبُ الحياة تبدّلتْ وتغيّرتْ كثيراً عمّا كانتْ عليه الحياة في هذه المنطقة ما قبل الستّينات.

● الحدثُ الكبير الذي ترك آثارهُ ولازالتْ آثارهُ إلى اليوم هو: الحربُ العربيّة الإسرائيلية سنة 1967م.. ما عُرفتْ بنكسة حُزيران.
بعد أن انتهتْ الحرب فيما بين العرب وإسرائيل، تغيّرتْ المُعادلاتُ السياسيّة في المنطقة وتبدّلتْ منظومةُ العلاقاتِ السياسيّة والدُبلوماسيّة في العالم.
فكلّ دول العالم أعادتْ حساباتها في تنظيم علاقتها مع الغرب ومع إسرائيل بعد الحرب العربيّة الإسرائيليّة التي انهزم فيها العرب.. فهذه الهزيمة أدّتْ إلى تغيير في المزاج العربي على جميع المستويات. حتّى في التفكير الاقتصادي، وتَبدّلتْ منظومة النفط في المنطقة وحتّى في العالم بعد هذه الحرب.
هذا الحدث كان لهُ من التأثير الكبير على منطقة الظهور.. لازالتْ التردّدات والآثار إلى هذا اليوم.

● وجاء بعد ذلك بعد سنة 1967م جاءنا حدثٌ كبير مُزلزل سنة 1979م وهو: الثورةُ الإيرانيّة وسُقوط النظام الشاهنشاهي.. حَدَثٌ كبيرٌ مُزلزل في جميع الاتّجاهات وعلى جميع المُستويات.. ولازلتُ أتذكّرُ كلمةً لوزير الدفاع الإسرائيلي: موشي دايان حين قال: الثورةُ الإيرانيّة زلزالٌ ضربَ المنطقة، آثارهُ ستصِلُ إلى جميع أنحاء العالم..!
تحوّلٌ كبير بكلّ المَقاسات.. إنتصارُ الثورة الإيرانيّة الإسلامية (التي عُنونت بهذا العنوان: ثورةٌ إسلاميّةٌ شيعيّة) غيّرت كُلَّ المعادلات.. بل إنّ بوصلةَ التفكير الاجتماعي، السياسي، أخذتْ تتحرّكُ باتّجاهٍ مُخالف للاتجاه الذي كانتْ تتحرّكُ فيه قبل انتصار الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة.
ولازالتْ تداعياتُ هذه الثورة إلى هذه اللّحظة في منطقة الظهور.
• وتستمرُّ الأيّامُ واللّيالي حتّى يأتينا حادثٌ مُزلزلٌ هو الآخر وهو: سقوط النظام الصدّامي سنة 2003م.. وبعد ذلك يأتي حادث مُزلزل هو الآخر وهو سقوط نظام حسني مُبارك في مصر..!

✱ قد يقول قائل: إنّك قد أغفلتَ حَدَثاً كبيراً مُدوّياً وهو: تفكّكُ الاتّحاد السُوفيتي.. ولا أنكرُ ذلك، فهذا الحدثُ حَدَثٌ مُدوّي فعلاً.. ولكنّ تأثيرَ تفكّك الاتّحاد السُوفيتي كان تأثيره في العالم الغربي أكثر منه في منطقة الظهور.. ولهذا لم أُشِر إليه بشكلٍ خاصّ
قطعاً هناك تأثيرات وتأثيراتٌ واضحة على منطقة الظهور حينما تفكّك الاتّحاد السُوفيتي وتناثرتْ دُوَلهُ هُنا وهناك.
لكنّنا في الحقيقة إذا أردنا أن نَكون في بحثنا مُراعين للدقة والعمق فبحسب ما أعتقدهُ فإنّ الاتّحاد السُوفيتي ماتَ مَوتاً سريريّاً مُنذ زمان خروشوف.
حينما انطوتْ صفحة خروشوف بعد ستالين يُمكنني أن أقول أنَّ الاتّحاد السُوفيتي دخلَ في مرحلةِ الموت السريري، إلى أن جاء غورباتشوف وأعلن موته بشكلٍ رسمي.
علماً أنّني هُنا لَستُ في مقام التحليل ولستُ في مَقام سَرْد الأحداث التأريخيّة، إنّني أتحدّثُ عن خُصوصيّة الزمن.
مثلما قُلت: هناك الزمن اللّحظة وهو الوقتُ الذي نَعيشهُ الآن: شهرُ رمضان.
وهُناك الزمن المقطع الطويل (والذي ربّما نموتُ ويبقى) وربّما بدأتْ بداياتهُ والأجيالُ لم تُولد.. كالذين وُلدوا مثلاً في السبعينات في الثمانينات، في التسعينات، والأجيال القادمة.. هؤلاء جاءوا وهذا المقطع الزماني قد بدأ.. رُفعتْ الستارة عن خشبة المسرح وإنّ الأحداث بدأت تتوالى على المسرح مُنذ سنة 1961م حتّى صُدمتْ المنطقة بما جرى في سنة 1967م في الحرب العربيّة الإسرائيلية.
لأنّ حديثي عن منطقة الظهور فإنّي أشرتُ إلى تلك الأحداث: (حرب 1967م، ثورة إيران، سقوط النظام الصدّامي، سقوط نظام حُسني مُبارك)
كُلّ هذهِ المُعطيات حرّكتْ الأحداثَ بشكلٍ مُفاجئٍ سريعٍ ليسَ مُتوقّعاً كما يُصطَلحُ عليه في المُصطلحات الإعلاميّة المُعاصرة بشكلٍ دراماتيكي.. والذي يجعلُ لِهذه الأحداث خُصوصيّة هو أنّ هذه الأحداث لها تردّدات لازالتْ موجودةً إلى هذه اللّحظة.
• حرب 1967م آثارها لازالتْ موجودةً.. بينما حدثتْ بعدها حرب 1973م ولكنّها لم تترك آثاراً واضحةً مُستمرّةً إلى يومنا.. تركتْ آثاراً وقتيّةً في حينها.
آثارُ حرب 1967م لازالتْ موجودةً على الأرض ولازالتْ مَحفورةً في الواقع النفسي للمُجتمع العربي وللمُجتمع الإسرائيلي على حدٍّ سواء سَلَباً أو إيجاباً.
الثورةُ الإيرانيّةُ لازالتْ آثارُها إلى هذه اللّحظة، وكذلك سُقوط النظام الصدّامي وسقوط نظام حُسني مُبارك.. لازالتْ آثارُ السقوط مُدوّيةً إلى هذه الثانية. كُلّ هذه الأحداث جرتْ في منطقة الظهور.
وهناك حركةٌ لفّتْ العالم ولفّتْ هذه المنطقة.. إنّها براكينُ هيجانِ ثورةِ المعلوماتِ والاتّصالات.. هذهِ التكنلوجيا المُتطوّرة.. معلومات واتّصالات غيّرتْ وجهَ العالم وغيّرتْ وجه الحياة في جميع الاتّجاهات وفي كُلّ الجهات، في كُلّ البقاع والأمكنة.. ومنطقة الظهور كبقيّة المناطق..!
• فما بين الخُصوصيّة لتأريخيّة لمنطقة الظهور، وما بين التجارب الطويلة والعميقة للحضارات التي نَشأتْ وذَهبتْ، وللدول التي قامتْ وتهاوت، ولأُمم الأنبياء وما فيها مِن صالحٍ وطالح، ولهذا الكم الهائل مِن مُعطيات الغَيب في هذهِ المنطقة.. كُلّ هذا مع هذهِ الأحداث المُتسارعة المؤثّرة التي أشرتُ إلى أهمّها، مع هذا التغيير في جميع الاتّجاهات بعد ثورة المعلومات والاتّصالات.. كُلّ هذا يجعلُنا نَقِفُ طويلاً كي نتأمّل هذا المَقطع الزماني وفي نفس الوقت هو محكومٌ بسُرعة حركة التأريخ وجريانه.. ما سُمّي بعصر السرعة والذي دخلنا فيه منذ بدايات القرن العشرين، حينما تحرّكتْ السيّاراتُ سريعةً على الأرض وفي الطُرقات.. من هنا بدأ عصرُ السُرعة.
وحين بدأ عصرُ السرعة لَملَم التأريخُ نفسه وراحَ يجري سريعاً في شَرْق الأرض وغَربها، وفي شمال الكرة الأرضية وفي جنوبها.. في كُلّ الاتّجاهات..!
فما بين سُرعةِ حركة التأريخ وما بينَ هذه التقنيّات الهائلة المُعجزة (ثورةُ المعلومات والاتّصالات) وما بين هذا الخزين التأريخي لهذهِ المنطقة، وآثار الأحداث المُدويّة نلمحُ مِن وراء سِتْرٍ رقيق ما يُمكن أن نُسمّيه أملاً في حركةِ المَشروع المهدوي الأعظم.

● قضيّة مهمة جدّاً لابُدّ أن أُشير إليها:

وهي أنّ الزمن في بعض الأحيان قد يكونُ زَمَناً عزيزاً غالياً.. وفي الحقيقةِ إذا أردنا أن نزن الأمور بالحكمة الفائقة فإنّ الزمن عزيزٌ وغالٍ دائماً.. لكنّنا نتعامل مع واقع الإنسان الذي يخسرُ الكثير مِن زمانه إن كان ذلك على مُستوى الأفراد من أمثالنا أو على مُستوى الأُمم من أمثال أُمّتنا.
إنّنا نخسرُ الكثير والكثير مِن هذا الزمن الغالي ونُلقي به في المزابل.. ما بين التفاهات وفي أحسن الأحوال: نقضي أوقاتنا في اللّاشيْ..!
• هناك زمنٌ يُمكن أن نصِفَهُ الزمن العزيز الغالي.. مقاطع زمانيّة تلكَ التي يتحدّث عنها سيّد الأوصياء ويأمرنا أن نغتنم الفُرَص (اغتنموا الفُرَص فإنّ الفُرَص تمرُّ مرَّ السحاب) الفُرصة هي عنوانٌ للزمن العزيز الغالي.. وإنْ كان العُمر كلّهُ فرصة ولكنّنا نُضيّع هذه الفرصة.. أعمارُنا رؤوس أموالنا، ولكنّنا نُضيّع رؤوس الأموال هذه.
• الخُلاصة:
هُناك مقاطع زمانيّة في أعمار الأُمم والمجموعات.. هناك مقاطع من الزمن العزيز الغالي، وهي المقاطع التي لو أنّ الأُمّة أو أنّ الشخص عرف قيمتها وعرف كيف يغتنمُها وكيف يستطيعُ أن يتحرّك فيها - إن كان الحديثُ عن فردٍ أو عن أُمّة - فإنّه سيَصِلُ إلى مَرامه على أحسن وجه.. مِثلما جاء في الأحاديث الشريفة: (إنّ لربّكم في دهركم هذا نفحات، فتعرّضوا لنفحاته)
نَفَحاتُ الباري مُتواصلة متّصلة لا انقطاعَ لها ولكن هُناك مَراتب خاصّة تَتجلّى فيها نَفَحاتٌ خاصّة.. والحديثُ يُشير إلى هذهِ النفحاتُ الخاصّة.. وإلّا فنَفَحاتُ جُوده وآلاءُ فضلهِ مُتواصلة مُتّصلة. فكما أنّ لِربّنا في أيام دَهرنا نَفَحات، كذاك الحالُ في أعمارنا وفي زماننا.
صحيحٌ أنّ الزمان عزيزٌ على طُولهِ وأنّ العُمَر غالٍ على طُولهِ ولكن هُناك مقاطع تكون لها خُصوصيّة، وتلكَ هي الفُرَص التي تَحدّث عنها سيّد الأوصياء، والتي وجّهنا لأن نغتنِمها قبل أن تضيع.
فهُناك مقاطع زمانيّة غالية، وفي هذهِ المَقاطع الزمانيّة العَزيزة الغالية هُناك ما هو الأخصّ حينما تكون حرجة.. ومُرادي مِن الحَرجة هو أنّ الإنسان لو لم يستغل هذا المقطع الزماني ويتصرّف فيه بالشكل المُناسب فإنّه سيتعرّض إلى خسارةٍ كبيرةٍ لن يستطيع أن يُعوّضها بعد ذلك.
هُناك خسائر يُمكن للإنسان أن يتداركها أو يُعوّضها، على مُستوى الأفراد أو على مُستوى الأُمم والمُجتمعات.. ولكن هُناك خسائر إذا ما خسرها الإنسان لن يستطيعَ أن يتداركها، ولن يستطيعَ أن يُعوّضها بأيّ نَحوٍ آخر مِن الأرباح والمنافع.
هذهِ الخسائر هي التي يَخسرها الإنسان حِينما يكون في الزمنُ العزيز الغالي الحرج.
● كما بيّنتُ قبل قليل مِن أنّ حديثي عن زَمنٍ بهذهِ المُواصفات قد يكون بلحاظ الفَرد وقد يكون بلحاظ الأُمّة.. وإنّما يكون زَمَناً عَزيزاً غالياً لأنّ المُتحرّك في ذلك الزمن بإمكانه أن يُحقّق هَدفه وأن يصل إلى مَرامه للمُلابسات وللشُؤون المُرتبطةِ بذاك المَقطع الزماني وما يرتبطُ فيه مِن مَكانٍ ومِن شُؤون شخصيّة واجتماعيّةٍ ترتبطُ بالمُتحرّك (إن كان المُتحرّك فرداً أو كان المُتحرّكُ أُمّةً).
وأمّا أن يكون حَرِجاً فلأنّه إذا لم يُبادر المُتحرّك (فَرداً كان أو أُمّةً) فإنَّ خَسارةً عظيمةً سيُصابُ بها..!
• مِن أمثلةِ الزمن العَزيز الغالي الحَرِج الذي مَرّ على الأُمّةِ عُموماً وعلى الشيعةِ خُصوصاً.. مَقطعٌ زمانيٌ عَزيزٌ وغالٍ وحَرِج، أوضحُ مصداق لهُ: زمنُ خلافة سيّد الأوصياء.
بعد مَقتل عثمان، ثار الثائرون على عثمان وقتلوه، وبدأتْ وقائع خِلافة سيّد الأوصياء.. من هُنا بدأ الزمنُ العزيزُ الغالي الحرج.. واستمرَّ هذا الزمانُ إلى يوم عاشوراء.. في يوم عاشوراء انتهتْ هذه المرحلة.. ولذا في زيارة الناحية المُقدّسة نقول: (فالويل للعُصاة الفسّاق لقد قتلوا بقتلك الإسلام..).
كانت تلك المرحلة مُنذ أن سقطتْ الأُمّة في ضلال السقيفة والصحيفة.. فالسقيفةُ هي انعكاسٌ لصحيفة الضلال التي كُتبتْ في الخفاء والسرّ أيّام رسول الله "صلّى اللهُ عليه وآله".
فمُنذ أن كُتِبتْ تلكَ الصحيفةُ المَشؤومة ونُفّذتْ بعْد ذلكَ في سقيفة بني ساعدة وسقطتْ الأُمّةُ في تلك الهاوية.. بدأتْ مرحلةُ زَمنٍ عزيزٍ غالٍ حرج، مُنذ الأيّام الأولى مِن خِلافة سيّد الأوصياء واستمرّتْ إلى يوم عاشوراء مُروراً بأيّام إمامنا الحسن وانتهاءً بعاشوراء. هذهِ المرَحلة كانتْ عزيزةً غاليةً حرجة.. لو أنّ الأُمّة بنحوٍ عام أو لو أنّ الشيعة بنحوٍ خاص ما كانوا على ما كانوا عليه لَما كان الذي كان.. وعلينا أن نعتبرَ مِن الذي جرى.
● بحسب المُعطيات المُتوفّرة لدينا.. ونحنُ ندّعي أنّنا شيعةٌ للحُجّة بن الحسن ونَدّعي أنّ إمامنا يمتلكُ مشروعاً أعظم، وندّعي ما ندّعي.. بحسب المُعطيات المُتوفّرة على المُستوى العقائدي وعلى المُستوى السياسي وعلى المُستوى الإنساني عُموماً وعلى المُستوى الاجتماعي وعلى المُستوى الديني في جميع اتّجاهاتهِ.. بحسب كُلّ تلك المُعطيات مُضافاً إلى ذلك ما بأيدينا من معلومات (إمّا هي مأخوذةٌ مِن منهج الكتاب والعترة، وإمّا هي مأخوذةٌ من اتّجاهاتٍ مُختلفة لكنّها لا تكون مرفوضةً بحسب مَوازين منطق الكتاب والعترة).
باجتماع كلّ ذلك تتولّدُ نتيجةٌ تقول مِن أنّنا في مَقطعٍ زَمانيٍّ عزيزٍ غالٍ وحرج.. وحين أقول حرج، على الأقل بالنسبةِ إلينا على المُستوى الشخصي.
فنحنُ ندّعي أنّنا مِن شيعةِ إمام زماننا، وندّعي أنّنا مِن المُنتظرين، وندّعي أنّنا مِمّن يُريد نُصرةَ إمامه، ونَدّعي أنّنا مِمّن يعملُ ويتحرّكُ باتّجاه إحياء أمره.. على الأقل أتحدّثُ عن نفسي، فأنا أدّعي هذه الأوصاف وهذه المعاني.. وفي الحقيقة إذا أردنا أن نُدقّق في واقع أمورنا.. فإنّ حقيقتنا يُعرّفها لنا دُعاء سيّد الشهداء في يوم عرفة.. حين يقول:
(إلهي مَن كانتْ مَحاسنهُ مَساوي فكيف لا تكونُ مَساويه مَساوي ومَن كانتْ حقائقهُ دعاوي فكيفَ لا تكون دعاويهِ دعاوي) هذا هو حالنا بالضبط وبالدقّة وبالتفصيل.

ولكن لابدَّ لنا مِن أن نتحرّك وبالنحو الذي نتمكّنُ منهُ رُغم كُلّ عيوبنا.. ولابُدّ أن نُفكّر وبالنحو الذي نَتمكّن أن نُفكّر فيه وبه وحَولهُ رُغم كُلّ جهالاتنا.

● الخلاصةُ هي هذه بحسب زعمي: أنّنا نَعيشُ في مَقطعٍ زَمانيّ عزيزٍ غَالٍ وحرج.. ومثلما كان الحديثُ عن الزمان اللّحظة: عن شهر رمضان.. وعن أبرز مُفردةٍ في شهر رمضان وهي الصوم، وعن صوم الجسد وصوم الروح.. ومن أنَّ الصوم الحقيقي هو الذي تصومُ فيه جوانحنا عن الفِكْر الحرام.. وصيام الجوانح يعني أن نُطهّر عقولنا وقلوبنا مِن الفكر الناصبي الذي اخترف الواقع الشيعي.
وكذا الحالُ حين يكونُ الحديث عن المقطع الزماني الطويل الذي نعيشُ فيه، فعلينا أن نُطهّر واقعنا من الفِكْر الناصبي الذي نعيشُ فيه.
أمّا كيفيّة تطهير هذا الواقع: فذلك موضوعٌ بحاجةٍ إلى تفصيل يأتي الحديثُ عنه في حلقة يوم غدٍ إن شاء الله تعالى.
• أعتقد أنَّ الصورة باتتْ واضحة تُشكّلها النقطة الأولى التي مرّ الحديث عنها في يوم أمس وهي: إحياءُ أمر إمام زماننا.. وجاءت النقطة الثانية: أنّنا في مقطع زمانيّ غال حرج..!
وظيفتنا في هذا المقطع الزماني الغالي الحرج هي: تطهيرُ الواقع الشيعي مِن القذارات الناصبيّة الفكريّة.
العقلُ الشيعي بحاجةٍ إلى تنقية وإلى تنظيف كي يكون مُمهَّداً كي يكون بعد ذلك مُمهِّداً لإمامِ زماننا.. وإلّا فالعقلُ الشيعي بكلّ هذهِ القذارات التي شَحَنَها عُلماؤنا ومَراجعنا فيه مِن دُون قَصدٍ سَيئ خُدعوا وخدعونا.
ما بينَ الفِكْر الشافعي والأشعري والمُعتزلي والصُوفي والقُطبي.. ذهبَ العقل الشيعي بَعيداً عن ساحة إمام زماننا.. وهذا الأمرُ واضح جدّاً في الرسالة التي وصلتْ إلى الشيخ المُفيد مِن إمام زماننا والخطاب فيها موجّهٌ إلى مراجع الأُمّة وعلمائها والإمام يتحدّث عن عدم وفاء الشيعة بالعهد المأخوذ عليهم. العهد المأخوذ عليهم هو بيعة الغدير والتي مضمونها: أن لا نسمح للفكر الناصبي أن يدخل إلى عقولنا.

● وصلنا إذن إلى هذه الخلاصة:
• أولاً: إحياء أمر إمام زماننا
• ثانياً: نحنُ في مقطعٍ زمانيّ عزيزٍ غالٍ حرج.
• ثالثاً: وظيفتنا إعادة بناء العقل الشيعي.. مِن خلال تنقيتهِ مِن قذاراتِ الفكر الناصبي المُضاد والمُعادي والمُخالف لِمنهج الكتاب والعترة والذي تأثّر به كبار مراجع الشيعة وعلمائهم وأقحموه في الواقع الشيعي وإلى يومنا هذا..!

● الخطوة الأولى في الاتّجاه الصحيح - كما أزعم - هي **البيعةُ** لإمام زماننا الحجّة بن الحسن.. إذا كُنّا قد بايعنا بيعةَ الغدير فإنّ بيعة الغدير فإنّها تشتملُ على بيعة إمام زماننا.. حين بايعنا رسول الله وبايعنا أمير المؤمنين على ولاية المعصومين الأربعة عشر.. وهذه البيعة لِمُحمّدٍ وعليّ هي بيعة الله سُبحانه وتعالى.

● وقفة عند حديث الإمام الباقر في كتاب [الغَيبة للشيخ النعماني]
(عن مُحمّد بن مُسلم الثقفي قال سمعتُ أبا جعفر مُحمَّد بن عليّ الباقر "عليه السلام" يقول:
كُلُّ مَن دانَ اللهَ بعبادةٍ يُجهِدُ فيها نفسَهُ ولا إمام لهُ مِن الله تعالى فسعيهُ غيرُ مَقبول، وهو ضالٌّ مُتحيّرٌ واللهُ شانئٌ لأعماله، ومَثَلَهُ كمَثَل شاةٍ مِن الأنعام ضَلَّتْ عن راعيها أو قَطيعها فتاهتْ ذاهبةً وجائية، وحارتْ يومها، فلمَّا جنَّها اللَّيلُ بصُرَتْ بقطيع غَنَمٍ مع راعيها فحَنَّتْ إليها واغترَّتْ بها، فباتتْ مَعها في رَبْضتها، فلمَّا أصبحتْ وساقَ الراعي قَطيعهُ أنكرتْ راعيها وقطيعها، فهجمتْ مُتحيّرةً تَطلبُ راعيها وقطيعها فبَصُرَتْ بسرحِ غَنَمٍ آخر مع راعيها فحنَّتْ إليها واغترّتْ بها، فصاح بها راعي القطيع أيَّتُها الشاةُ الضالّة المُتحيّرة الحقي براعيكِ وقطيعكِ، فإنّكِ تائهةً متحيّرةً قد ضللتِ عن راعيكِ وقطيعكِ،
فهجمتْ ذَعِرَةً مُتحيّرةً تائهةً لا راعي لها يُرشدها إلى مَرعاها أو يردّها إلى مَربضها، فبينما هي كذلك إذا اغتنمَ الذئب ضيعتها فأكلها، وهكذا واللهِ يا ابنَ مُسلم مَن أصبحَ مِن هذهِ الأُمّة لا إمام لهُ مِن الله عزَّ وجل أصبحَ تائهاً مُتحيّراً ضالّاً، إنْ ماتَ على هذهِ الحال ماتَ ميتةَ كُفْرٍ ونِفاق، واعلم يا مُحمَّد أنَّ أئمة الحق وأتباعَهُم هُم الذين على دين الله وأنَّ أئمة الجور لَمَعزولون عن دين الله وعن الحقّ، فقد ضلّوا وأضلّوا، فأعمالهم التي يعملونها كرمادٍ اشتدَّتْ به الريحُ في يومٍ عاصف لا يقدرون ممّا كسبوا على شيء وذلك هُو الضلال البعيد).

● وقفة عند مقطع مِن رواية طويلة يرويها المُفضّل عن إمامنا الصادق في [بحار الأنوار: ج53]:
(يا مُفضّل: كلُّ بيعةٍ قبل ظُهور القائم "عليه السلام" فبيعةُ كُفْر ونِفاق وخديعة، لَعَنَ اللهُ المبايعَ لها والمُبايعَ له) اللّعنةُ على الطَرفين لأنّ البيعةَ لا تكون إلّا للإمام المعصوم. البيعةُ تعني أنّنا نضعُ عُقولنا وقُلوبنا تحتَ أمر وإرادة الذي نُبايعهُ .. فأيّ شخص هذا الذي يُمكن أن يحملَ مِن المُؤهّلات بحيث أنّنا نضعُ عُقولنا وقُلوبنا تحتَ إرادتهِ وأوامره.
البيعةُ تعني أنّ الذي نُبايعهُ هو أولى مِنّا بنفوسنا وبذوينا وأموالنا وبكلّ ما تصِلُ إليه أيدينا.. فمَن هذا الذي يحملُ مِن المُؤهّلات ما يكونُ شأننا معهُ هكذا..؟! البيعةُ تعني أنّنا نُطيع الذي نُبايعهُ طاعةً مُطلقة، ولا نَعصي مَعصيةً على نَحو الاطلاق، ولا نُخالف، ونُحبّ على أساس ما يُحب، ونُبغض على أساس ما يُبغض.. والمعروف ما أمر به، والمُنكر ما نهى عنه، والوليّ مَن يُواليه والعدّو مَن يُعاديه.. والولاية والبراءة تدور مدار ولايته وبراءته.
فهل هُناك مِن أحدٍ يحملُ مِن المؤهّلات ومِن الأوصاف ومِن الخصائص ومن المواهب والقابليات ما يُمكننا أن نضع كُلّ ذلك تحت أقدامه؟!
هذه هي البيعة.. ولذا كلُّ بيعةٍ مِن دُون بيعةِ إمام زماننا هي بيعةُ كُفْر ونفاق كما قال إمامنا الصادق "صلواتُ الله عليه" واللّعنةُ فيها على الطرفين على المُبايع والذي أُخذتْ له البيعة.
لا يُمكننا أن نُبايع جهةٍ أو شخصاً بكلّ تفاصيل هذه البيعة، وبعد ذلك هو يخرقُ البيعة.. أو أن يحصل نقصٌ فيه، فما قيمة بيعتنا حينئذٍ!

● وقفة عند مقطع من زيارة لإمام زماننا هي زيارةُ البيعة.. ممّا جاء فيها:

(اللّهُمّ إنّي أُجدّد لهُ في هذا اليوم وفي كُلّ يوم عهداً وعقداً وبيعةً له في رقبتي..) هذا المضمون لا يصحّ إلّا للمعصوم.. ومِن هُنا إذا جاء أحدٌ يُريد أن يدّعي هذا المعنى له، تأتي اللّعنة واضحةً جدّاً مثلما قال إمامنا الصادق مع المُفضّل بن عُمر.

● أيضاً في زيارةٍ أخرى من زيارات إمام زماننا والتي بدايتها: (السلامُ عليكَ يا خليفةَ الله وخليفةَ آبائه المهديّين).. جاءَ فيها ما يُشيرُ إلى مَضمون البيعة الذي تَحدّثتُ عنهُ قبل قليل.. حين تقول الزيارة:

(فلو تطاولتْ الدُهور وتمادتْ الأعمار، لم أزددْ فيكَ إلّا يقيناً ولكَ إلّا حُبّاً وعليكَ إلّا مُتّكلاً واعتمادا، ولِظهورك إلّا توقّعاً وانتظارا، ولِجهادي بينَ يديكَ إلّا ترقُّبا، فأبذلُ نفسي ومالي وولدي وأهلي وجميع ما خوَّلني ربّي بين يديكَ والتصرّف بينَ أمركَ ونهيك..) هذا الكلام في زمن الغَيبة.. وإنّما يحصلُ هذا بعد أن نُطهّر العقول مِن الفكر الناصبي، وبعد أن نُزيّن العقول بمعرفة آل مُحمّد.

• أمّا في زمن الظهور:

(مولاي فإنْ أدركتُ أيّامكَ الزاهرة وأعلامكَ الباهرة فها أنا ذا عبدُكَ المُتصرّف بين أمركَ ونهيك أرجو به الشهادة بين يديكَ والفوزُ لديك..)

الذي يُهمّنا هو العباراتُ التي ترتبطُ ببيعتنا ونحنُ في زمان الغَيبة.

● سأُجمِلُ لكم الحديث في مضمون هذه البيعة بنحوٍ تقريبي:

كُلّ إنسانٍ مَهما كانتْ ثقافتهُ ومَهما كان مُستواه العقلي أو العلمي، ومهما كان مشربهُ.. كُلّ إنسانٍ لهُ قائمةٌ أولويّات في حياته، سواء كثُرتْ العناوين في هذه القائمة أو قلّتْ.. كُلّ إنسان له أولويّات.

فبعضُ الناس ربّما أولويّاتهُ في طعامهُ وشرابه وجنسهُ، وسائر رغابته.. وهُناك مَن له أولويّاته في تجارته وأمواله.. فكُلّ إنسان لديه قائمة من الأولويّات.

حين نُبايعُ إمام زماننا فقطعاً لن يكون الجميع على مُستوىً واحد من البيعة؛ لأنّ البيعة تتفرّع عن المعرفة أساساً.. فإنّما يُبايعُ المُبايع وفقاً لِمعرفته..

وقد بيّنتُ قبل قليل إنّنا حِين نُبايع إنّنا نأتي بعُقولنا وقُلوبنا ونضعها تحتَ إرادته وتحتَ أمره.. ومَضمونُ العقول والقُلوب يختلف من شخصٍ إلى آخر، ومِن هُنا فإنّ البيعة ليستْ بمُستوىً واحد.

قد تكون هناك خُطوط عامّة مِن أنّه أولى بنا من أنفُسنا أو المضامين التي جاءتْ في زياراته الشريفة "صلوات الله عليه".. ولكن تبقى البيعةُ على مراتب باختلاف مراتب العقول والقلوب وبقيّة التفاصيل.(وقفة تقريب للفكرة).